المبحث الثالث

ثمرات محبة الله للعبد

إن لمحبة الخالق لعبده ثمرات زكية ، يثمرها ذاك الود والحب الخالص ، أتدري ما هي أخي الحبيب ؟ .

إن الله تعالى إذا أحبك ورضى عنك نادى في مخلوقاته ليحبوك ، وكتب لك القبول ، ووفقك وهداك ، وشرف في الملأ الأعلى ذكرك ، وآنسك وأذهب عنك الوحشة ، وليس هذا كلامًا إنشائيًا بل هو خبر صادق ووعد لا يتخلف ، وسأورد لك بعض ثمرات محبة الله ـ تعالى ـ للعبد ومع كل ثمرة دليلها .

[١] توجيه الأمر للملائكة بحب العبد الذي أحبه الله :

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحبُّ فلانًا فأحبّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبُّه أهل السماء** » (١) .

وانظر في كتاب الله كي تتعرف على شعور الملائكة وخالص ودّهم إذا أحبوك لحب الله لك، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ ﴾ [غافر : ٧-٩] .

وانظر إلى حبهم لك يا من أحبك الله إذ يبشرونك بالجنة عند وفاتك ﴿ الَّذِينَ

(١) البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) .

تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[النحل : ٣٢] .

ويتلذذون بالحديث مع من أحبهم الله عندما يُساقون إلى الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

وبعد دخول الجنة يدخلون على من أحبهم الله مهنئين لهم بالسلامة والفوز ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد : ٢٢-٢٤] .

والصابرون من خاصة أحباب الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦] .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ يهنئوهم بالسلامة وكرامة الله لهم، ويقولون : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم ﴾ : أي حلّت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم ، وذلك متضمن لزوال كل مكروه ، ومستلزم لحصول كل محبوب » [١] .

وقال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

« أولئك في مقامهم العالي في هذه الجنات يأتلف جمعهم ويلتئم شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وفي جوّ التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية ﴿ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ ويدعنا السياق نرى المشهد حاضراً وكأنما نشهده ونسمع الملائكة أطوافًا

(١) تفسير السعدي (ص ٣٩٢٢) ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠٣م .

أطوافًا ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام » [١] .

وقال في التعقيب على آية غافر : « وبينما حملة العرش ومن حوله يتجهون إلى ربهم بهذا الدعاء لإخوانهم المؤمنين نجد الذين كفروا في الموقف الذي تتطلع كل نفس فيه إلى المعين وقد عز المعين ، نجدهم وقد انقطعت العلاقات بينهم وبين كل أحد ، وكل شيء في الوجود ، وإذا هم يُنادَوْن من كل مكان بالترذيل والمقت والتأنيب ، وإذا هم في موقف الذلة بعد الاستكبار ، وفي موقف الرجاء ولات حين رجاء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ⑩ ﴾ [غافر : ١٠] [٢] .

فلعلك أدركت إذن هذه الثمرة من ثمرات حبّ الله للعبد . . . وقد يكون من حكمة الله ـ تعالى ـ في توجيه الأمر لملائكته بحب من أحبهم من البشر نوع مباهاة لهم كما ورد ـ مثلاً ـ في حق أهل عرفة : **« إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثًا غبرًا »** [٣] .

[٢] كتابة القبول في الأرض للعبد الذي أحبه الله تعالى :

ففي بقية الحديث السابق بعد أن ذكر أمر الله للملائكة بحب عبده الذي أحبه قال : « . . . ثم يوضع له القبول في الأرض » [٤] .

ومعنى أن يوضع له القبول : يعني أن يكون مقبولاً محبوبًا مألوفًا ، يأمنه أهل الأرض ، فيستريحون لرؤيته وينشرحون لسماعه ، وقد يكتب الله لمن أحبه القبول في حال حياته وبعد مماته لكتبه ومصنفاته وآثاره ، وانظر هذا في حياة

---

(١) في ظلال القرآن (٤ / ٢٠٥٨) .

(٢) المرجع السابق (٥ / ٣٠٧١) .

(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٥٢) وقال رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

(٤) سبق تخرجه .

كثير من أئمتنا « كأحمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن الجوزي... وغيرهم » ممن نحسب أن الله ـ تعالى ـ أحبهم فكتب لهم القبول في حياتهم فاجتمعت حولهم قلوب العامة والخاصة ، وبعد مماتهم أقبلت الأجيال على كتبهم يتتلمذون ويتعلمون ويستشرحون ويستوضحون ، فكل من تعلم مسألة أو استفاد فائدة من كتبهم كان لهم مثل أجره ، وهذا من ثمرات محبة الله تعالى لهم .

وأسوق لك هنا قصة واحدة لترى الفرق بين من أحبه الله فكتب له القبول وبين من أبغضه فكتب له البغضاء .

روى الخطيب البغدادي في التاريخ قال : قال الزعفراني :حجّ بشرٌ المريسي(١) فلما قدم قال: رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيبًا ـ يعني الشافعي ـ قال : فقدم علينا فاجتمع إليه الناس ، وخفُّوا عن بشر ، فجئتُ إلى بشر فقلت : هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم ، قال : إنه قد تغيّر عما كان عليه ، قال : فما كان مَثَل بشرٍ إلا مثل اليهود في شأن عبد الله بن سلام »(٢) .

فالشافعي ـ رحمه الله ـ مَثَال من أحبه الله فكتب له القبول ، والمريسي مثال من أبغضه الله فكتب له البغضاء .

[٣] تشريف العبد الذي أحبه الله :

ففي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: « **يقول الله ـ عز وجل ـ أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن**

(١) بشر المريسي هو : بشر بن غياث المريسي من موالي زيد بن الخطاب ، أخذ الفقه عن أبي يوسف الحنفي ، وكان داعية إلى القول بخلق القرآن فهجره أبو يوسف توفي ٢١٨هـ ببغداد ولم يشيعه أحد من العلماء . انظر وفيات الأعيان ١ /٢٧٧ ط. دار صادر ببيروت ، تحقيق الدكتور/ إحسان عباس.

(٢) تاريخ بغداد ٢ /٦٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠ /٤٤، ٤٥ .

تقرَّب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » (١) .

والذاكر عبدٌ يحبه الله ورسوله ﷺ ، وانظر في هذا الحديث كيف شرَّفه ، فإذا ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه ، ونفس الله أعظم من نفوسنا ، والملأ العلوي خير من الملأ السفلى، ثم انظر كيف يبلغ التشريف غايته من خلال ما ترى في الحديث من معاملة الله لعبده : « **إن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعًا ... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »** .

[٤] العون والتوفيق والحفظ والرعاية واستجابة الدعاء لمن أحبه الله :

ففي الحديث القدسي يقول الله ـ عزوجل ـ : « وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٢) .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ كما نقل عنه ابن حجر في الفتح :

« والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها ، بأن يحفظ جوارحه عليه ، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله » (٣) .

---

(١) البخاري برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم برقم (٢) في الذكر والدعاء .

(٢) البخاري برقم (٦٥٠٢) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري(١٣ / ١٤٦) ط . دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٠ .

إن العبد بدون هداية ربه وتوفيقه يغرق في بحر الضلال لا يحجزه حاجز مهما اجتهد في الخروج منه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فالموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله .

✿ والعبد ـ أيضًا ـ بدون عون ربه ـ سبحانه ـ له ضعيف عاجز حتى عن أن يرفع إلى فيه لقمة ، أو يدفع عن نفسه ذبابة .

✿ وبدون حفظ ربه ورعايته نهبة للآفات وشياطين الإنس والجن ، وإذا لم يستجب له مولاه ، فمن ذا الذي يجيب ؟! .

✿ ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

✿ ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ .

[البقرة : ١٨٦] .

✿ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

[٥] الأنس وطرد الوحشة :

فالعبد منا كم هو محتاج إلى الاستقرار والسكينة والطمأنينة،وكم يطرأ على العبد منا من مخاوف وهواجس تقض مضجعه وتُطيِّر النوم من عينيه، فإذا تقرَّب العبد من ربه فظفر بمحبته ـ سبحانه ـ حصل الأنس وحلّت السكينة وطُردت الوحشة .

وفي معنى الخبر الإسرائيلي : « عبدي اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت عندي كل شيء ، وإن فقدتني فقدت كل شيء » .

وهل يجد الله - تعالى - إلا من أحب الله فأحبه ؟ :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: « منزلة الأنس بالله ... وهو روح القرب ...

فاستحضار القلب هذا البر والإحسان واللطف يوجب قربه من الرب سبحانه وتعالى ، وقربه منه يوجب له الأنس ، والأنس ثمرة الطاعة ، والمحبة ، فكل مطيع مستأنس وكل عاصي مستوحش » [١] .

هذه بعض ثمرات محبة الله للعبد ، ويبقي في الأمر ما يدل على عظمة محبة الله للعبد، فما دامت محبته عظيمة فلا شك أن ما يدخره لعبده من الثواب عظيم بحيث لا يخطر على قلب .

ولو لم تكن إلا هذه الخمس من ثمرات محبة الله للعبد ، فماذا يريد الإنسان بعدها؟! ، عونٌ وتوفيقٌ وهدايةٌ وعلاقات طيبة مع الملائكة المقربين تستغفر لك وتدعو ، وقبولٌ في الأرض وتشريف وتكريم وأنس وراحة قلب ، إنها والله جنة في دار الدنيا !!! .

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٠٤ .

obeikandl.com